التمهيد

مقدمة عن الإدارة والتنظيم الإداري

ويحتوى على ستة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بالإدارة .

المبحث الثانى : هل الإدارة علم أو فن ؟ .

المبحث الثالث : صلة الإدارة بالسياسة .

المبحث الرابع : الإدارة والتنظيم الإدارى فى عهد الرسول ﷺ .

المبحث الخامس : الإدارة والتنظيم الإدارى فى عهد الصديق رضي الله عنه.

المبحث السادس : تطور الإدارة العامة فى عهد الفاروق رضي الله عنه .

المبحث الأول

فى التعريف بالإدارة

أ -تعريفها لغة :

تقول : أدرت فلاناً على الأمر إذا حاولت إلزامَه إياه، وأدرتُه عن الأمر إذا طلبت منه تركه[1] .

وفى حديث الإسراء : قال موسى لنبينا محمد ـ صلى الله عليهما وعلى الأنبياء أجمعين : لقد داورتُ بنى إسرائيل على أدنى من هذا فضعفوا[2] .

ب ـ تعريفها اصطلاحاً :

إذا قلنا : إن الإدارة فنّ يعتمد على الصفات الذاتية والمواهب الشخصية، فهى موجودة منذ وجود الدول والمجتمعات الإنسانية .

فكل تجمُّع إنسانى يقيم فى وطن واحد له مصالح مشتركة مجتمع عليها، لابد له من قيادةٍ ترعى هذه المصالحَ، فتسوس أمره وتدير هذه المصالح بالقدر الذى تتمتع به من الكفاية، والمقدرة الشخصية على إدارة شؤون ذلك المجتمع .

ولكَّن الإدارة بالمعنى العلمى الذى يُعرف اليوم، وتؤلف عنه المؤلفات « لم تعرف إلا مع بدايةِ ظهورِ المجتمعِ الصناعى فى النصفِ الثانى من القرنِ التاسعِ عشر الميلادى »[3] .

والإدارةُ العامةُ بمعنى تنظيم وإدارة القوى البشرية والمادية لتحقيق الأهداف

---

(١) انظر : لسان العرب لابن منظور ٤/ ٢٩٩ . ط لبنان، دار صادر .
(٢) انظر : المرجع السابق الصفحة نفسها .
(٣) انظر : الإدارة فى صدر الإسلام للدكتور محمد عبد المنعم خميس، ص ٥ .

الحكومية هى جزء لا ينفصل عن نشاطِ كُل جماعةٍ مُنظَّمة، وتكون جانباً من عمل الحاكم سواء أدرك هذا المعنى أم لم يدركه [1] .

فما هى الإدارة العامة إذاً عند علماء الإدارة ؟

يرى بعض الكتَّاب فى علم الإدارة أن الإدارة العامة تشمل جميعَ الواجبات والوظائف التى تختص أو تتعلق بإنشاء المشروع من حيثُ تمويلُه، ووضعُ سياسته الرئيسة، وتوفير ما يلزمه من معدات، وإعداد التكوين أو الإطار الذى يعمل فيه؛ وكذلك اختيار الرؤساء، والأفراد الرئيسيين [2] .

ويرى بعضهم أن وظيفتها هى الوصول إلى الهدفِ بأحسن الوسائِل وأقل التكاليف فى حدودِ الموارد والتسهيلات المتاحة وبحسن استخدامها [3] . إلى غير ذلك من التعاريف الكثيرة التى لا تتفق إلا فى بعض جوانبها .

ونحن هنا نختار تعريف الدكتور سليمان الطماوى القائل : إنها ـ أى الإدارة العامة ـ فى أوسعِ معانيها تتكون من جَميعِ العمليات التى تستهدف تنفيذ السياسة العامة [4] . وقد نقله عن الأستاذ الأمريكي، فهذا التعريف على قصره نرى أنه تدخل تحته أو يمكن أن تدخل تحته جميع تعريفات فقهاء الإدارة؛ لأن كل تلك التعريفات يمكن أن تجمع فى معنى واحد هو:« تنظيم وإدارة القوى البشرية والمادية لتحقيق الأهداف المرسومة من الجهات العليا» .

---

(١) عمر بن الخطاب وأصول السياسة والإدارة الحديثة، ص١٧ .

(٢) وهذا التعريف غير شامل، بل أقرب إلى تعريف الإدارة الخاصة .

(٣) انظر : الأصول العلمية للإدارة والتنظيم : د/ على عبد المجيد عبده، ط . التاسعة ١٩٧٦م .

(٤) مبادئ علم الإدارة العامة : د/ سليمان الطماوي، ط٣، دار الفكر العربي، ص٢١ .

المبحث الثانى

هل الإدارةُ علمٌ أو فن؟[1]

لابد أن نميز بين العلم والفن لتتبين بعد ذلك هل الإدارة علم أو فن، أو هى جامعة بينهما؟

العلم:

*يتكون العلم ـ وفقاً للمدلول الفنى لهذا الاصطلاح ـ من مجموعة قواعد، تكتشف بالتجربة والبحث ولا تختلف قيمتها من مجال إلى آخر كما هو الشأن بالنسبة إلى العلوم الحسابية، والطبعية، والكيماوية [2].

* أما الفن ـ فإنه يعتمد على المزاولة العملية فى اكتساب الخبرة والمقدرة على التصرف ومقابلة المواقف والاستجابة بطريقة صحيحة، والتحرك بسرعةٍ ومرونةٍ فى المواقف المختلفة [3].

وإذا راجعنا تأريخ الإدارة العامة فى عمرها الطويل، نجد أننا إنما نراجع تأريخها من حيث كونُها فَناً لا عِلما؛ فهى موجودة ـ كما أشرنا سابقاً ـ مع وجود التجمع الإنسانى على شكل دول أو شبهها من التجمعات الكبيرة التى لها مصالح عامة مشتركة تحتاج إلى تسييرها وإدارة شؤونها .

وكانت تمارَس باعتبارِها فَناً يعتمد على موهبة المدير لهذه الأمور، سواء أكان

---

(١) قال فى القاموس المحيط : الفن الحال والضرب من الشيء، كالأفنون، وافتنَّ : فى فنون من القول، وفنن الناس جعلهم فنوناً، وهو فِن علم بكسر الفاء : حسن القيام به . انظر : ٤/ ٢٥٨، ط . المؤسسة العربية، بيروت .

(٢) عمر وأصول السياسة والإدارة الحديثة : د/ سليمان الطماوى .

(٣) إدارة الأفراد والعلاقات الإنسانية : د/ صلاح الشنواني، ص١٦٣، الناشر : دار الجامعات العصرية، الإسكندرية .

قائدًا أم غيره، ولكنها من حيث الاعتماد على الصفات العلمية لم تظهر بذلك إلا أخيراً [1].

فبعد أن صارت الدول تقوم على أساس الخدمة العامة لا السلطة، وبعد أن أصبح نشاطها يمتد إلى جميع الأفراد من لحظة الميلاد إلى الوفاة، فقد بدأت الدراسات المتعلقة بكيفية تنظيم أجهزة الدولة، واختيار الحكام .. واكتشاف مبادئ الإدارة العامة التى تكفل أداء الوظائف الحكومية فى أقصر وقت وبأقل تكلفة وبأقصى فاعلية [2].

ولكن هذا لا يعنى أن الإدارة اليوم أصبحت علماً فحسب، وأن كل من درس علم الإدارة كان مديراً ناجحاً، بل إنها لا تزال ـ خاصة الإدارة الناجحة ـ تعتمد اعتماداً كبيراً على الصفات الذاتية والمواهب الشخصية؛ فكم من المديرين الناجحين الذين بلغوا القمة فى حسن إدارتهم لم يدرسوا شيئاً من علم الإدارة؛ ولا أجد مثلاً أفضل من عمر فى إدارته لشئون الدولة الإسلامية الكبرى التى اتسعت وعظمت فى عهده وكانت بحاجة إلى عظيم يدير شؤونها ويُسير دفتها فكان هو ذلك العظيم .

ومن المسلَّم به فى الوقت الحاضر أن الإدارة العامة تجمع بين صفات العلم والفن معاً؛ فهى علم بالقدر الذى تكشف عنه البحوث والتجارب التى تتم فى نطاق الإدارة العامة من قواعد وتوجيهات تتبع فى تحقيق الأهداف العامة .

وهى فن من حيث إن التزامَ القواعدِ العلميةِ فى التنظيمِ لا يؤدى إلى نتائِجَ متماثلة فى كافة الحالات، بل نجد أَن إدارةَ معينةً تتمتع بكفاية عالية تحت قيادة بعينها، تقل كفايتها تحت قيادةٍ أخرى مع بقاء كافة الظروف الأخرى على حالها [3].

وهذا يدل دلالة واضحة على أن الصفاتِ الذاتيةَ والمواهبَ لها أثرها العظيم فى هذا الشأن، بل وفى كل شأن من شؤون الحياة .

---

(١) انظر : الإدارة فى صدر الإسلام للدكتور محمد عبد المنعم خميس، ص٦ .
(٢) انظر : عمر وأصول السياسة والإدارة الحديثة : د/ سليمان الطماوي، ص١٨ .
(٣) انظر : مبادئ الإدارة العامة : د/ سليمان الطماوي، ص٢٩، حول هذا المعنى .

ولكنها تختلف نسبةُ أهمية الصفات الذاتيةِ والمواهبِ باختلاف الأمر المطلوب أداؤه أو إدارتُه .

فبعضُ الأمور قد لا تفيد المواهبُ والصفاتُ الذاتية فيه بدون تعلمه أو تعلم أدائِه، ولكنَّها تساعدُ من حيثُ سرعةُ القابليةِ والفهمِ كمن يريد أن يكون مهندساً، أو نجاراً، أو مدرساً .. فإنه لا يمكنه ذلك دون تعلم .

وبعض الأمور يمكن أداؤها اعتمادا على الموهبة ثم الممارسة العلمية كالشعر مثلاً فإن كثيرا من الشعراء المشهورين انطلقوا من مواهبهم ومارسوا، لا بدراسةِ العروض؛ فامرؤ القيس، وطَرفة بن العبد وكل أصحاب المعلَّقات، وشعراءُ صدر الإسلام ابتداء من شعراء الصحابة لم يتعلموا العروض ولم يكن قد وجد هذا العلم .

والإدارة أشبه بالشعر من حيث أهمية الموهبة للمدير والشاعر .

المبحث الثالث
صلة الإدارة بالسياسة

لا نعنى بصلة الإدارة بالسياسة هنا صلة الإدارة الإسلامية بالسياسة الشرعية، وإنما نعنى صلة الإدارة بصفة عامةٍ بالسياسة بصفةٍ عامة .

وما دمنا قد قدَّمنا تعريفًا بالإدارة فيجدر بنا أن نقدم تعريفاً بالسياسة لغة واصطلاحًا .

أما تعريفها لغةً :

فهى الأمر والنهى، والرعاية والتدبير، قال صاحب القاموس : وفلان مجرب قد ساس، وسِيس عليه، أدَّب وأُدب[1] .

وفى الحديث : « كانت بنو إسرائيلَ تسوسُهم الأنبياءُ كلما هلك بنى خلفه نَبِي، وإنه لا نبى بعدى وسيكونُ بَعدى خُلفاءُ فيكثُرون»، قالوا : يا رسول الله، فما تأمرنا؟ قال : « أوفوا ببيعةِ الأولِ فالأول، ثم أعطوهم حَقَّهم، واسألوا اللهَ الذى لكم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم» متفق عليه[2] .

فالشاهدُ من الحديث قوله ﷺ : « تَسوسُهم» أى ترعاهم وتدبّرُ أُمورَهم[3] . وقوله : « فإن الله سائلُهم عما استرعاهم»، فكلمةُ (سياسة) عربية فصيحة قد جاء بها الحديث كما رأيت وجاءت فى كلامِ العربِ وفى أشعارهم، من ذلك قول حُرقة ـ وقيل: هند ـ بنت النعمان بن المنذر حين جاءت للمغيرة أو لسعد بن أبى وقاص بعد سقوط مُلك آبائها :

---

(١) انظر : ترتيب القاموس المحيط ٢/ ٦٤٦ .

(٢) انظره فى: رياض الصالحين ص٣٤١، ط .بيروت، مؤسسة مناهل العرفان، وهو فى صحيح البخاري، جـ٦ ص ٤٩٥ مع الفتح . وفى صحيح مسلم، ١٢/ ٢٣١ مع شرح النووى .

(٣) انظر : النهاية فى غريب الحديث، لابن الأثير مجد الدين أبى السعادات المبارك بن محمد الجزرى ٥٤٤-٦٠٦هـ، ٢/ ٤٢١، ط. مصر عيسى البابى الحلبى، وانظر : تفسير غريب الحديث لابن حجر العسقلاني، ص١٢٧، ط . دار المعرفة، بيروت .

فبينا نسوسُ الناسَ والأمرُ أمرُنا إذا نحن فيهم سُوقةٌ [1] نتنصفُ [2]
فأُفٍ لدُنيا لا يدومُ نعيمها تُقلب تاراتٍ بنا وتُصرف

وقالت أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما ـ وهى زوجة الزبير بن العوام ـ : كان للزبيرِ فرسٌ كنتُ أسوسُه [3] . أى : أرعاه وأقوم بشئونه .

وأخطأ من قال : إنها كلمةٌ فارسيةٌ ذاتُ شقين (سه) و(ياسة)، ومعناها عندهم : التراتيب الثلاثة [4] .

أما معنى السياسة اصطلاحاً عندَ العلماء المعاصرين من غير المسلمين :

وهو السائد والمعمول به الآن فى مُعظم بلاد العالم بما فى ذلك بلادُ المسلمين؛ ذلك لغياب العمل بالسياسة الشرعية، بل لغياب العملِ بالأصول الإسلامية فى مُعظم أنحاء العالم الإسلامي، فمعناه عند بعضهم : « علم الدولة» وبعضهم قال : « إنه ذلك الفرع من العلوم الاجتماعية، الذى يتناول نظرية وتنظيم وحكومة وممارسة الدولة» .

وقال بعضهم : « إنه علم السلطة» .

ومنهم من قال : « إنه علم السلطة فى مختلف الجماعات البشرية» [5] .

وأهم الموضوعات التى يشملها علم السياسة هي:

١ - النظرية السياسية، وتشمل الفكر السياسى .

---

(١) سوقة : أى رعية نساق . ترتيب القاموس ٢/ ٦٥٠ .

(٢) نتنصف : أى نطلب النصفة من غيرنا ونستجديهم، ونخدمهم، انظر : ترتيب القاموس ٤/ ٣٨٣-٣٨٤، ومروج الذهب للمسعودي، ٢/ ٧٩، ط . دار الأندلس، بيروت .

(٣) انظره فى: مسند الإمام أحمد بن حنبل ت ٢٤١هـ، ٦/ ٣٥٢، ط . بيروت، المكتب الإسلامى .

(٤) انظر : الخطط الكبرى للمقريزى تقى الدين أبى العباس أحمد بن على المقريزى ت ٨٤٥هـ، جـ١ ص ٢٢٠-٢٢١، ط. مكتبة المثني، بغداد بالأوفس .

(٥) انظر كل هذه التعاريف فى: المدخل فى علم السياسة للأستاذين : الدكتور (محمود خيرى عيسى) عميد كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة سابقاً، والدكتور بطرس بطرس غالى رئيس قسم العلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة سابقاً، ط . خامسة ١٩٧٦م، من ص ٤-٨ .

٢- النظم السياسية، وتشمل الدستور والحكومة المركزية، والحكومات الإقليمية والمحلية، والإدارة العامة، والوظائف الاقتصادية والاجتماعية للحكومة، والنظم السياسية المقارنة .

٣- الأحزاب والجماعات والهيئات، ودور الفرد فى الحكومة والإدارة والرأى العام .

٤- العلاقات الدولية؛ وتشمل السياسة الدولية، والتنظيم الدولي، والقانون الدولي[١] .

إذا فما هى صلة الإدارة بالسياسة، على اعتبار أن السياسة هى كل المعانى التى احتوتها التعريفات السابقة، وأن أهم مواضيعها هى تلك المواضيع التى اتفق عليها علماء السياسة المعاصرون ؟

* والحقيقة أن التعريفات السابقة كلها تندرج تحت معنى واحد: هو أن علم السياسة « العلم الذى يتناول الطريقة المثلى لتنظيم شئون الدولة» .

وهذا تعريف حجة الإسلام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى لعلم السياسة فى كتابه (المنقذ من الضلال) [٢] ، نقله بطرس غالى فى كتابه المشار إليه سابقاً .

فهذا تعريفٌ شامل نرى أن كل التعاريف التى أتى بها علماء السياسة المحدثون تدخل تحته .

* وإذا كنا قد اخترنا من تعاريف الإدارة العامة ذلك التعريف القائل : «إن الإدارة العامة فى أوسع معانيها تتكون من جميع العمليات التى تستهدف تنفيذ السياسة العامة» [٣] ، فإنه قد أصبح واضحاً أن الصلة بين الإدارة والسياسة وثيقة، ولا تنفك الإدارة عن السياسة، والعكس صحيح، فإن السياسة أعم من الإدارة، والصلة بينهما صلة الجزء بالكل، فكل إدارة سياسة، وليس كل سياسةٍ إدارة .

---

(١) انظر : المرجع السابق، ص٤ .
(٢) المرجع السابق، ص٧٤ .
(٣) سبقت الإشارة إلى المرجع والمؤلف .

ولا نعنى هنا غير الإدارة العامة؛ أما النوعان الآخران من أنواع الإدارة وهما: (الإدارة العليا والإدارة الخاصة)، فإننا لسنا بصدد الكلام عليهما؛ لعدم الحاجة إلى ذلك وضيق المجال فى هذه العجالة .

ولا بأس أن نعرَّف بهما تعريفا فقط .

« فالإدارة العليا هى التى تعنى بوضع السياسات والنظم والخطط العامة، دون التطرق إلى طريقة تنفيذ هذه السياسات والنظم والخطط» [1] .

والإدارة الخاصة هى : إدارة الأعمال الخاصة بالأفراد، أو بمجموعة من الأفراد[2]، يشتركون فى عمل واحد كالشركات غير الحكومية، والمصانع غير الحكومية .. وما أشبه ذلك؛ والتشابُه بينهما موجودٌ من حيثُ الممارسةُ العملية .

*** والخلاصة:**

إنَّ صلة الإدارة بالسياسة صلة قوية، بل إن علم الإدارة العامة قد نشأ أولا فى نطاق علم السياسة وذلك للارتباط الوثيق بين تحديد الأهداف العامة للدولة وهو نشاط سياسي، وبين وضع هذه الأهداف موضع التنفيذ وهو مجال علم الإدارة العامة[3] .

---

(١) انظر : الأصول العلمية للإدارة والتنظيم، للدكتور على عبد المجيد عبده، ط . ٣. القاهرة ١٩٦٣م، ص١٣ .

(٢) ومن هذا النوع ما ورد فى آية الدين من قوله تعالى : ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة : ٢٨٢] أى تتبايعون بيعاً ناجزاً يداً بيد . انظر هذا المعنى فى الكشاف للزمخشري، جـ ١ ص٤٠٤ .وقول عمر بن عبد العزيز حين كتب لعامله فى مصر : « أن انظر من مر بك من المسلمين، فخذ مما ظهر من أموالهم ما يديرون من التجارات من كل أربعين ديناراً ديناراً ..» انظر : الموطأ، ص ١٦٧ ط . دار النفائس، بيروت، مجلد واحد .

(٣) يراجع فى هذا : مبادئ علم الإدارة العامة : د/ سليمان الطماوى، ص٢٤، وكتابه (الوجيز) فى الإدارة العامة، ط . دار الفكر العربي، بيروت، ص٩ . وكتاب (إدارة الأفراد والعلاقات الإنسانية) للدكتور صلاح الشنواني، ص٢٥ .

المبحث الرابع

الإدارةُ والتنظيمُ الإدارى فى عهد النبى ﷺ

أسسَ رسولُ الله ﷺ أولَ دولةٍ فى الإسلام توافرت فيها كل مقومات الدولة .. فالشعب، والوطن، والدستور، ورئيس الدولة ... موجود قامت عليه تلك الدولةُ الفتية . فكان رسول الله ﷺ هو رئيسَ الدولة، وإليه يرجع كل شأن من شؤونها، وكان يباشرُ بنفسه كثيراً من الأعمال التى تتطلبها مصلحة الدولة أو ينيب عنه غيره فى ذلك .

فيستقبل الوفود، ويأمر بكتابة الرسائل إلى الملوك، وسادةِ القبائل ويُشرفُ على إعدادِ الجُيوش استعداداً للمواجهاتِ الحَرْبية، ويقسم الغنائمَ التى تحصلُ نتيجةَ النصرِ على العدوُّ، والفيء الذى يحصل عليه المسلمون دُون قتال، كما قال تعالى :

﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الحشر] .

ولما بدأت تتسع الدولةُ وتعددت مصالحها، وتشعبت أنشطتها .. بدأ ينشئ نظاماً إداريا يتولى القائمون به الإشرافَ على تنفيذ المهام التى تسند إليهم .

وقد تولى القيام بأعباء تلك المهمة رجال من الإداريين الأكفاء الذين رباهم، كمعاذ بن جبل، وعلى بن أبى طالب، وأبى موسى الأشعري، وعبد الله بن رواحة،وعتاب بن أسيد، والعلاء بنِ الحضرمى ... وغيرهم ﷺ جميعاً .

وكان يُدرك مزايا، وقُدْرات أصحابه كل الإدراك، وقد يعلن ما يدركه فى أصحابه على الملأ، فنجده يقول فى أبى بكر : « أرحم أمتى بأمتى أبو بكر »[1] .

---

(١) انظر : فتح الباري، جـ٨ص١٦٧ . قال : أخرجه الترمذى وصححه، ولكن قال غيره : الصواب إرساله . وانظر : جـ٧ص١١٦ .

ويقول فى أُبى بن كعب : « وأقرؤهم لكتاب الله أُبَى بْن كَعب» [1] .

ويقول فى على : « أَقضى أُمتى على بنُ أَبى طالب» [2] .

وكان يكلف بالأمور الهامة من هو لها أهل، ومن يرى بأنه لن يُقصَّر فى عمله، ولن يَعجِز عنه، أو يُؤثم نفسَه فيه .

ولا يولى غير القادرين على التمام، ولا يولى الضعفاء جلائل الأعمال، وعويصَها مهما كانت تقواهم، وثقتهم، .. ولو طلبوا ذلك يزداد التأكد فى منعهم [3] !

فهذا أبو ذر الغفارى [4] ﷺ يأتى إليه فيطلب منه أن يوليه على جهة مما ولاه الله، فيرفضُ الطلب، ويوضح السبب، مصارحًا به ليزول العجب، وليكون على علم، وليكون درسًا له ولغيره كذلك إلى يوم القيامة .

روى مسلم فى صحيحه : « عن أبى ذر ﷺ قال : قلت : يا رسول الله، ألا تستعملُنى ؟ (أى تولينى عملاً أقوم بإدارته) قال : فضرب بيده على منكبي، ثم قال : « يا أبا ذر، إنك ضعيفٌ، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزى وندامة، إلا من أخذَها بحقها، وأدى الذى عليه فيها » [5] .

وروى مسلم أيضا عن أبى ذر ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال : « يا أبا ذر، إنى أراك ضعيفاً، وإنى أُحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمَّرنَّ على اثنين، ولا تَولين مالَ يتيم» [6] .

---

(١) انظر : المرجع السابق، الجزء والصفحة نفسها . وانظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ٤٧ .

(٢) المرجع السابق، الجزء نفسه والصفحة . وقال ابن حجر : أخرجه البغوى .

(٣) انظر مقالاً فى: جريدة الشرق الأوسط اليومية، عدد١٤٦٩ فى ٦/ ١٢/ ١٩٨٢م بعنوان : (النظام الإدارى للدولة الإسلامية، فى عهد الرسول ﷺ) للدكتور عبد الفتاح أحمد الفاوي، ص١٣ .

(٤) أبو ذر الغفارى هو : الصحابى الجليل (جُندَب بنُ جُنادة بنُ سُفيان الغفاري) من السابقين الأولين إلى الإسلام، قيل : إنه ثالث ثلاثة ـ كما فى صحيح مسلم ـ ت عام ٣٢هـ؛ كان زاهداً متقللاً من الدنيا، وكان قوالاً بالحق لا يخاف من إيذائه .
انظر : تهذيب الأسماء واللغات للنووي، جـ٢ من القسم الأول، ص٢٩-٢٣٠ .

(٥) انظر : مختصر صحيح مسلم للمنذرى الحافظ زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى بن عبد الله الدمشقى الأصل المصرى المولد والدار والوفاة ٥٨١-٦٥٦هـ حققه محمد ناصر الدين الألباني، ط. المكتب الإسلامي، ط٣/ ١٣٩٧هـ .

(٦) المرجع السابق، الصفحة نفسها ٣٢٨ .

هذا التوجيه لأبى ذر وهو مَن هُو، فقد كان صلباً قوالاً للحق لا يخاف فى الله لومة لائم [1] ؛ ولكن الإمارة شيءٌ آخر، لابد لمن يليها أن تتوفر فيه شروط، رأى رسول الله ﷺ أنها لم تتوفر فى أبى ذر فقال له إنه ضعيف لا يصلح للإمارة . وهذا لا يعنى أن صاحب الكفاية لا يظهرها وخاصة حين لا يوجد غيره .

* وكان ﷺ يمنع ولاية الحكم والقضاء من رآه حريصاً على ذلك ولو كان كفؤا، فإن المتهافت عليها يقصد من ورائها مصلحة نفسه قبل مصلحة الجماعة، فهو إما طالب مال، وإما طالب جاه وشهرة، وفى كلتا الحالتين لا يصلح، ولا يعان من الله عليها، بل يوكله إلى نفسه؛ فهو يقول لعبد الرحمن بن سمُرة [2] : « ياعبد الرحمن، لاتسألِ الإمارة، فإنك إن أُعطيتها عن مسألةٍ وُكلت إليها، وإن أُعطيتَها عن غَير مسألةٍ أعنت عليها»[3]!

ولما جاءه رجلان من الأشعريين وسألاه العمل قال لهما : « لا، لا نستعمل على عملنا من أَراده» . وولى غيرهما فى نفس الوقت، ولى أبا موسى على اليمن، وقد جاء معهما ولكنه لم يطلب لنفسه[4] .

ولما رآه رسول الله ﷺ قادراً على الإمارة، غير حريص عليها ولاه جزءا من اليمن حيث قال له : « ولكن اذهب أنت يا أبا موسي، أو يا عبد الله بنَ قيسٍ» فبعثه على اليمن، ثم أتبعه معاذَ بنَ جبل [5] .

* وكان يحاسب عماله ويُؤَنِّبُ المخطئ، وقد يظهر ذلك الخطأ على الملأ؛ ليعرف الناس موقف الإسلام من النفعيين الذين يعملون لنفع أنفسهم ولو ارتكبوا إثماً فى

---

(١) انظر : تهذيب الأسماء واللغات، جـ٢من القسم الأول، ص ٢٣٠ .

(٢) عبد الرحمن بن سمرة هو : عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب قرشى صحابى من قادة الفتح أيام عثمان ﷺ توفى ٥٠هـ، وقيل : سنة ٥١هـ . انظر ترجمته فى تهذيب الأسماء واللغات للنووي، جـ١ ص٢٩٦.

(٣)مختصر صحيح مسلم، ص ٣٢٨، واللؤلؤ والمرجان، جـ٢ص ٢٤١ .

(٤) انظر : المرجع السابق الصفحة نفسها . واللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان وضع محمد فؤاد عبد الباقي، جـ٢ص ٢٤١ .

(٥) انظره فى: صحيح مسلم بشرح النووي، جـ ١٢ص٢٠٨، ط . بيروت، دار إحياء التراث العربى .

أعمالهم من خيانة ـ، أو غلول، أو استئثار .

عن أبى حُميد الساعدى ﷺ قال : استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأزد على صدقات بنى سليم يدعى ابن اللُّتْبية [1] ، فلما جاء حاسبه، قال : هذا ما لكم وهذا هدية، فقال رسول الله ﷺ : « فهلا جلست فى بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً؟ »، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : « أما بعد، فإنى أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله فيأتى فيقول : هذا ما لكم، وهذا هديَّة أُهديَت إلى !، أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً؟

والله لا يأخذ أحد منكم منها شيئا بغير حقه إلا لقى الله تعالى يحمله يوم القيامة، فلأعرفن [2] أحداً منكم لقى الله يحمل بعيرا له رُغاءٌ [3] ، أو بقرةً لها خوارٌ [4] ، أو شاة تيعرُ [5] »، ثم رفع يديه حتى رُئى بياض إبطيه، ثم قال : « اللهم هل بلغت؟ » بَصُرَ عينى وسَمِع أذنى [6] .

قوله : « بصَر عينى وسَمِعَ أُذني » : أى أعلم هذا الكلام يقيناً وأبصرتْ عينى النبى ﷺ حين تكلم به، وسَمِعتْه أذنى فلا شك فى عِلمِه به .

كان ﷺ حريصاً على تربيةِ أصحابه على الإيمان والصدقِ والوَرعِ، وما كان يهتم بتكوين المال كما يهتم بتكوين الرجال، بل إنه كان يرى المالَ عَرضاً زائلاً لا يحرص عليه إن قل ولا يصبر على بقائه إن حصل وكثر؛ وتربيته لأصحابه كذلك أثمرت قياداتٍ سادت الدنيا وقادتها إلى الخير، وأثمرت قدوةً وتأريخاً ناصعاً تستنير به البشرية إلى يوم

---

(١) ابن اللتبية : اسمه (عبد الله) من أزد شنوءه، ويقال لهم الأزد والأسد . واللتبية، بضم اللام وإسكان التاء نسبة إلى بنى لُتب قبيلة معروفة . انظر : شرح صحيح مسلم للنووي، جـ١٢ص٢١٩ .

(٢) (لا أعرفن) فى بعض الروايات، وهذه الرواية أشهر، رواه مسلم . انظر الحديث وشرحه فى: صحيح مسلم بشرح النووي، جـ١٢ ص٢٢ .

(٣) رغاء : أى صوت الإبل . انظر : ترتيب القاموس، جـ٢ص٣٦٣ .

(٤) خوار : أى صوت، فالخوار صوت البقر، والغنم، والظباء، والسهام . انظر : ترتيب القاموس المحيط، جـ٢ص١٢٤ .

(٥) تيعر : تصوت بشدة . انظر : فتح الباري، جـ١٣ص١٦٦ .

(٦) انظر الحديث فى: صحيح مسلم بشرح النووي، جـ١٢ ص٢٢٠ .

الدين إن هى أرادت الهداية والعزة والكرامة .

فهو ﷺ ـ فى هذا الحديث ـ يعلِّم ابن اللُّتْبية ما الذى كان يجب أن يكون عليه، ويبين له أن لو كان فى بيت أبيه أو أُمه فإنه لا يعرف ولا ذكْر له ولا تأتيه الهدية ـ وما أتته إلا لأنه يُدير عملاً فيه مصلحة عامة، لذلك تسابق الناس لإهدائه الهدايا وإعطائه العطايا، سواء كان ذلك حُباً فيه أورجاءَ نفعه، فإن كل ذلك بسبب موقعه الوظيفى .

ولا يجوز له أن يجمع ذلك ابتداءً إذا كان يرى إقبال الناس عليه رجاء المنافع، وإن كان غير ذلك، وقد أخذ فعليه أن يجعلها مع الأموال العامة .

ثم لا يكتفى ﷺ بمحاسبته وتأنيبه وحده، فإن ذلك قد يفيده وحده، ولكنه وقف خطيباً بين الناس وحذر من استغلال المناصب، وبيَّن مثال الاستغلال دون أن يذكر اسمَ صاحبِ المثل، إذ الفائدة تحصلُ بذكر الأمثلة ولا حاجة لفضح أصحاب الأخطاء ما لم يكن ذلك «إقامة حد من حدود الله»، أو كان فى إظهاره مصلحة للأمة .

كانت تلك المحاسبة، وذلك التأنيب، وذلك البيان للناس مَعلماً عظيماً فى طريق الحكم والإدارة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

* وأمَر النبى ﷺ حذيفةَ أن يحصى له كل من تلفَّظ بالإسلام، وهذا عمل إدارى كان أَساساً لمبدأ الإحصاء وتعيين المتخصصين فى هذا الشأن .

فعن حذيفةَ بنِ اليمان قال : قال رسول الله ﷺ : « اكتبوا لى من يلفظ بالإسلام من الناس»، فكتبت له ألفاً وخمسمائة رجل . رواه البخارى [1] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يخطبُ، يقول : «لا يخلونَّ رجل بامرأةٍ إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر إلا مع ذى محرم»، فقام رجل، فقال : يا رسول الله: إن امرأتى خرجت حاجَّة، وإنى كُتبت فى كذا وكذا، قال : « انطلق مع

(١) انظر الحديث فى: صحيح البخارى بشرح فتح الباري، جـ٦ ص١٧٧، ١٧٨ .

امرأتك»[1].

فهذان الحديثان يدلان على أن فكرة إحصاءِ الناس داخل الدولة كانت موجودة فى عهده ﷺ وأنه أول من فعل ذلك فى الإسلام.

ففى الحديث الأول أمر بلفظ: «اكتبوا لى من يلفظ بالإسلام»، فكتب له حذيفة ألفاً وخمسمائة، وفى رواية: (أحصوا لى)[2] وهذا أعم وأوضح.

وفى الحديث الثانى قول الرجل: وإنى قد كتبت فى كذا وكذا. وهذا دليل على أن الكتابة كانت موجودة للجيوش المنطلقة للجهاد.

ولو أن هذا لم يثبت أنه دُوِّن بسجلٍ خاص، وأنه استمر، لكن الأساس قد وجد وهو ما رأيت.

* وفى الجملة فقد كان رسول الله ﷺ هو الحاكم الذى جمع بيده كلَّ السلطاتِ من تشريعية، وتنفيذية، وقضائية. فهو نبى مرسل، وهو مؤسس الدولة، وهو المرجع فى كل أمر دينى أو دنيوى مما يخص الدولة.

فلا غرابة أن تجتمعَ فى يده السلطاتُ الثلاث، ولا غرابةَ فى أن تكون تلك السياسةُ الحكيمةُ الرحيمة، وتلك الإدارة الدقيقة المنظمة منه ﷺ.

ولم تكن الإدارة فى ذلك الوقت معقدة كما هى اليوم، ذلك أن المجتمع النظيف، وتوجهه إلى التسابق على الأعمال الصالحة وضرب الأمثلة فى التعامل النظيف، والتآخى والإيثار .. سَهَّل مُهمةَ القيادة.

فالوالى كان يُعيِّنه الرسول ﷺ وهو مطمئن إليه كل الاطمئنان، إيماناً وصدقاً، وقدرة، وعدلا، وأمانة .. ويجمع له بين السلطتين التنفيذية والقضائية. ولم يثبت أنه

---

(١) انظر: المرجع السابق، جـ٦ ص١٤٢، ١٧٨.

(٢) المرجع السابق، ص١٧٨. وانظر: التراتيب الإدارية للكتاني، جـ١ ص٢٢. ساق هذين الحديثين وهو يستدل بهما على أن الرسول ﷺ أحصى الناس من المسلمين.

كان يرسل إلى أى ولاية واليا وقاضيا كما يقول الدكتور (أكرم رسلان ديرانية) [1]، بل كان الوالى هو القاضى وهو الجابي، وهو الذى يقيم الحدود كما حدث فى اليمن حين حكم معاذ وأبو موسى بقتل اليهودى الذى أسلم ثم ارتد، ونفذا ذلك، ولم يرجعا فى المسألة إلى رسول الله ﷺ، ولم يكن هناك قاض خاص غيرُ الوالى فى اليمن، ولا كذلك فى بقية الولايات فى سائر الدولة .

روى البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى موسى الأشعرى ﷺ قال : أقبلت إلى رسول الله ﷺ ومعى رجلان من الأشعريين أحدُهما عن يمينى والآخر عن يساوي، ورسول الله يستاك، فكلاهما سأل، فقال : « يا أبا موسى ـ أو يا عبد الله بن قيس» ـ قال: قلت : والذى بعثك بالحق ما أطلعانى على ما فى أنفسهما، وما شعرت أنهما يطلبان العمل . فكأنى أنظر إلى سواكه تحت شفته قلصت [2]، فقال : « لن ـ أو لا ـ نستعمل على عملنا من أراده، ولكن : اذهبْ أنت يا أبا موسى ـ أو يا عبد الله بن قيس ـ إلى اليمن»، ثم أتبعه معاذ بنُ جبل، فلما قدم عليه ألقى له وسادة، قال : انزل، فإذا رجل عنده موثق، قال : ما هذا؟ قال : كان يهودياً فأسلم، ثم تهود . قال : اجلس، قال : لا أجلس حتى يقتل، قضاءُ الله ورسوله (ثلاث مرات)، فأمَر به فَقُتِل، ثم تذاكرا قيام الليل، فقال أحدهما : أما أنا فأقوم وأنام، وأرجو فى نومتى ما أرجو فى قومتي» [3] .

ففى هذا الحديث دليل واضح على أن الوالى هو القاضى وهو المنفذ؛ لأنه كان ينوب عن رسول الله ﷺ فى كل شيء، فى كل الولايات من الدولة؛ لأنه كان لا يولى إلا الأكفاء عِلماً وإيماناً وقدرة على الحكم .

---

(١) قال فى كتابه (الحكم والإدارة فى الإسلام) ص٧٠ط، دار الشروق، طبعة أولى : « وقسم الرسول ﷺ البلاد إلى مقاطعات إدارية .. جعل على كل منها والى وعامل وقاضي) أهـ ولم يسلم قوله حتى من الخطأ النحوى كما ترى . ثم قال بعد صفحة : وكان يعين القضاة للولايات، أو يأمر الولاة بتعيين من يشير إليهم . ولكنه يرد على نفسه دون أن يشعر فى نفس الصفحة، فيقول : ولم يؤثر عن الرسول الكريم أنه عين فى بلد من البلدان رجلاً اختص بالقضاء بين المسلمين، بل كان يعهد بالقضاء إلى الولاة ضمن توليهم أمور الولاية» وهذا صحيح، ولكنه تناقض مع قوله السابق. انظر ص٧١ . والكتاب ملىء بمثل هذه الأخطاء ولست بصدد نقده، ولكن إشارة إلى ما يتصل ببحثنا .

(٢) قلصت : أى: انزوت وشمرت ، انظر : ترتيب القاموس، جـ٣ص ٦٧٦ .

(٣) انظر : صحيح البخارى بشرح فتح الباري، جـ١٢ ص٢٦٨ .

والخلاصة :

أن الرسول ﷺ مع كونِ مُهمتِه الأساسيةِ هى تبليغُ الناس ما أُنـزل إليـه مـن رَبَّـه، وإخراجُهم من الظلمات إلى النُّور [1] ، إلا أنه مع ذلك كان مكلفاً بـالحكم بـين النـاس فكان يقضي، ويفتي، وينظم شئون الدولة .

(١) قال تعالى :﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝١٦ ﴾ [المائدة : ١٥-١٦] . وقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾ [المائدة: ٦٧].

المبحث الخامس
فى الإدارة والتنظيم الإدارى فى عهد الصديق

كانت مدة خلافةِ أبى بكر الصديق ﷺ قصيرةً فلم تتجاوز السنتين وأشهرًا .

وكانت تلك الفترة القصيرة مليئةً بالأعمال العظيمة، والأحداث الكبيرة، كما قالت عائشةُ ابنتُه أم المؤمنين رضى الله عنها : لَمَّا توفى رسول الله ﷺ اشرأبَّ [1] النفاقُ، وارتدت العرب، وانحازت الأنصارُ، فلو نزل بالجبالِ الراسيات ما نزل بأبى لهاضها [2]؛ فما اختلفوا فى نقطةٍ إلا طار أبى بفنائها، وفضلها [3] . قالوا : أين يدُفنُ النَّبى ﷺ؟ فما وَجَدْنا عندَ أحد من ذلك علماً، فقال أبو بكر : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «ما من نبى يُقبضُ إلا دُفن تحتَ مضجعه الذى مات فيه» .

قالت : واختلفوا فى ميراثه، فما وجدوا عند أحدٍ من ذلك علماً، فقال أبو بكر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة» [4] .

وفى صحيح البخارى ما يقوى آخر هذا الحديث، فعن عائشة ﷺ أنَّ فاطمةَ والعباسَ ـ عليهما السلام ـ أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ، وهما حينئذ يطلبان أرضيهما من فدك [5] وسهمهما من خيبر، فقال لهما أبو بكر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لانُورَثُ، ماتركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال» [6] .

وما حققه الصديق للأمة فى فترة خلافته القصيرة يعجز أن يحققه ملوك ورؤساء العالم مجتمعين، وما ذلك إلا لما اتصف به من إيمان عميق وإخلاصٍ وحسنِ

---

(١) اشرأبَّ : أى مد عنقه فظهر وارتفع . انظر : ترتيب القاموس المحيط، جـ٢ص ٦٩ .
(٢) هاضها : أى لدقها . انظر : ترتيب القاموس، جـ٤ص٥١٥ .
(٣) إلا طار أبى بفنائها وفضلها : أى سبق إلى الجواب عنها بأحسنَ ما يمكن .
(٤) أخرجه البغوي، وأبو بكر الشافعى فى فوائده، وابن عساكر . انظر : تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص٧٣، ط . مطبعة السعادة، مصر ١٣٧١هـ .
(٥) فَدَك : بلدة قرب خيبر من أرض الحجاز ، انظر : ترتيب القاموس، جـ٣ص ٤٥٨ .
(٦) انظر : صحيح البخارى بشرح فتح الباري، جـ١٢ص ٥، ط . سلفية .

سياسةٍ وإدارة .

ظهرت عبقرية ومعالم شخصيته الفذة بعد وفاة رسول الله ﷺ قبل تحمله المسؤولية وبعدها .

لقد ذهل الناس من وفاة الرسول ﷺ وما كانوا أشدَّ حباً له من الصديق ، ولكنه كان أقواهم وأحكمَهم فوقف موقفاً أنبأ عما يحمله من عقلٍ وحكمة . فأزال عن الناس ما هم فيه من الذهول والاختلاف .

كان عمرُ بنُ الخطاب أشد الصحابة قوة وهيبة، ومع ذلك فقد ذَهل وفقد صوابه وصال وجال وهدَّد وأوعد كلَّ من يقول : إن محمداً ﷺ قد مات .

فجاء أبو بكر ووقف خطيباً ليبين الحقيقة التى غفل عنها الناس لشدة الهول فقال: « أما بعد، فمن كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت »، قال تعالى :﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران] .

قال عمر : « فو الله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلُّهم ...» [1] .

وظهر مرة أخرى بعبقريته الفذة وحسن سياسته وإدارته حينما حضر السقيفةَ (سقيفة بنى ساعدة)، وقد كاد أن يحدث انقسام بين المسلمين فتصبح الدولة الناشئة دولتين إن لم يذعن السابقون الأولون من المهاجرين ويتابعوا، وإن أدعنوا وتابعوا فلن يستقيم الأمر، فالعرب قاطبة ما كانت ترى أن الأوس والخزرج مؤهلون لقيادتهم كقريش، والأوس والخزرج أنفسهم كل منهم يرى لنفسه الفضل فلر بما نَفِسَ الخزرجُ على الأوس أن استقلت واستبدت بالأمر والعكس كذلك، فلا بد من رجل قادر يجلى

(١) انظر : البداية والنهاية لابن كثير، جـ٥ص٢٤٢ .

الحقيقة ويعمل لوضع الأمور فى نصابها، ولا بد أن يكون هذا الرجل محل تقدير واحترام لفضله وكفاءته فكان هو الصديق [1].

فإنه لما رأى الأمر كذلك سارع وقال قولاً كان هو الفيصل فى المسألة، ولم يَدْعُ لنفسه ولم يحرص عليها، ولكنه كان أولى الناس بها. حضر اجتماع الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة وسمع ما قاله قائلهم فى فضل الأنصار، وكان عمر حاضرًا وكان يريد أن يتكلم عن أفضلية المهاجرين وأسبقيتهم إلى الإسلام، ولكن أبا بكر خشى من شدة عمر فأسكته وتكلم هو، يقول عمر: فلما سكت (أى خطيب الأنصار) أردت أن أتكلم، وكنت قد زورت [2] مقالة أعجبتنى أردت أن أقولها بين يدى أبى بكر، وكنت أُدارى منه بعض الحد [3]، وهو كان أحكم منى وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتنى فى تزويرى إلا قالها فى بديهته [4]. فكان مما قاله الصديق: أما بعد.. فما ذكرتم من خير فأنتم أهله، وما تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين أيهما شئتم وأخذ بيد عمر ويد أبى عبيدة عامر بن الجراح [5].

وكان لكلمته هذه أثر كبير، بل كانت القول الفصل؛ إذ عرف الناس فضل المهاجرين، وفضل أبى بكر بين المهاجرين والناس أجمعين فبايعوا أبا بكر وكان أول المبايعين عمرُ الفاروق ﷺ فتتابع المهاجرون والأنصار ـ الموجودون فى السقيفة ـ فبايع كل الحاضرين غير سعد بن عبادة فقد كان له رأى وتأخر، ولكنه مع ذلك كان معترفاً بفضل المهاجرين وأنهم أحق الناس بالأمر، يدل على ذلك قول سعد لأبى بكر وقد ذكره الرسول ﷺ: «قريش ولاة هذا الأمر، فبر الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع

(١) انظر فى هذا: البداية والنهاية لابن كثير، جـ٥ص ٢٤٥-٢٤٧.
(٢) زورت: أى حَسَّنتُ ونَمَّقتُ وزيَّنت. انظر: ترتيبَ القاموس المحيط، جـ٢ ص٤٩٢.
(٣) أى: أرافقه وأدور معه فى كثير من الأمور. انظر: ترتيب القاموس، جـ٢ص ٢٣٠.
(٤) انظر: البداية والنهاية، جـ ٥ص٢٤٦.
(٥) انظر: البداية والنهاية، جـ٥ص٢٤٦. قال ابن كثير: وقد أخرج هذا الحديث الجماعةُ فى كتبهم. وانظر: صحيح البخارى بشرح فتح الباري، جـ٧ ص٢٠، ط. سلفية.

لفاجرهم» . فقال له سعد : صدقتَ، نحنُ الوزراءُ، وأنتم الأمراءُ [1] .

قبل أبو بكر البيعة خوفاً أن تكون فتنة بعدها ردة، كما قال هو [2]، وكانت بيعةُ السقيفة البيعة الخاصة، إذ بايعه الموجودون فى السقيفة فقط .

وفى اليوم الثانى اجتمعَ الناسُ فى مسجدِ رسولِ الله ﷺ للبيعةِ العامةِ، فصعِدَ عمرُ المنبرَ وكلَّم الناس مقدِّما أبا بكر شارحاً لهم البيعةَ الخاصةَ التى كانت فى السقيفة مذكرا بفضيلة أبى بكر، فبايعه المسلمون عامة، وهو على المنبر .

وكان أولَ عملٍ عَمِله الصديقُ بعدَ البيعةِ العامة أن نَظَر فى الناس ليرى من تخلَّف عن البيعة، فإنه يخشى أن يكون فيهم من يكرهُ ذلك أوله شبهة، فلم ير الزبيرَ بنَ العوام ﷺ، فدعا به، فجاء فقال الصديق : قلت : ابنُ عمه رسول الله وحواريه ؟ [3]، أردت أن تشق عصا المسلمين؟ قال : لا تثريبَ يا خليفةَ رسول الله ﷺ، فقامَ فبايعَه . ثم نظر فى وجوه القوم فلم ير عليًّا، فدعا بعلى بن أبى طالب فجاءَ . فقال : قلتَ : ابنُ عم رسول الله ﷺ وختنهُ [4] على ابنتهِ؟ أردت أن تشق عصا المسلمين؟ قال : لا تثريب [5] ياخليفة رسول الله ﷺ، فبايعه ، وفى رواية أخرى : أنه طلب علياً ثم الزبير. قال ابن كثير : وهذا إسناد صحيح [6] .

وهذا يرد على القائلين بأن علياً لم يبايع أبا بكر إلا بعدَ وفاة فاطمةرضى الله عنها، وأنه لم يبايع لاعتقاده بأنه أحق بالخلافة . وما قيل من مُبايعتِه له بعدَ موتِ فاطمةَ فيُحملُ على أنها بيعةٌ ثانية لإزالة الوحشة التى كانت قد حَصُلتْ بعد منع الصديق لهم من الميراث [7] سبب ماعنده من قوله ﷺ : « إنا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة» .

---

(١) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة، ٢٤٧ ،والحديث رواه أحمد .
(٢) انظر : المرجع السابق، ص٢٤٨ .
(٣) حواريه : أى نصيره ، انظر : ترتيب القاموس المحيط، جـ١ ص ٧٣٤ .
(٤) ختنه : أى صهره ، انظر : المرجع السابق، جـ٢ص١٦ .
(٥) لا تثريب : أى : لا لوم ، انظر : ترتيب القاموس المحيط، جـ١ ص٤٠٠ .
(٦) انظر الروايتين فى: البداية والنهاية، جـ٥ ص٢٤٩ .
(٧) انظر فى هذا :البداية والنهاية، جـ٦ ص٣٠٢ .

وبعد أن تَمتْ البيعة خطبَ الصديقُ خطبة قصيرةً بيَّن فيها منهجَ سياستِه وإدارته حمد الله وأثنى عليه، ثم قال : « أيها الناس، إنى قد وُليت عليكم ولست بخيركم».

فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوى عندى حتى أُرجع عليه حقَّه إن شاء الله، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحقَّ منه إن شاء الله، لا يدع قومٌ الجهادَ فى سبيل الله إلا خذلهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة فى قوم إلا عمَّهم الله بالبلاء، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسول فلا طاعة لى عليكم ...» [1] .

ثم بدأ حكمه وسار على ذلك النهج فصدق قوله فعله، ولم يحد عن ذلك قيد شعرة .

أما أعماله الإدارية فى خلافته القصيرة فإن أهمَّها : إنفاذ جيش أسامة الذى جهزه رسول الله ﷺ، ومحاربة المرتدين، ومانعى الزكاة، ومدعى النبوة ، وجمع القرآن.

هذه الأعمال العظيمة كان كل واحد منها على جانبٍ كبير من الصعوبة فى اتخاذ قرار فيه، إقدامًا أو إحجامًا؛ ولكن الصديقَ قد وُفِّق فى جميعها، فاتخذَ فى كل أمرٍ قراراً يعجز غيره أن يتخذه ويمضى فى تنفيذه .

فجيش أُسامةَ كان قد جَهَّزه رسول الله ﷺ فى حياتِه وَوَجَّهه إلى الشام، وكان يضم عناصر هامة وقوية من الجيش الإسلامى [2] وتوجَّه أسامةُ بنُ زيدٍ ﷺ بجيشه ورسول الله فى مرضه الذى توفى فيه، فلما خرج سن المدينة أرسلت زوجته [3] وراءَه أن تريث بالخروج، فإنَّ رسولَ الله قد ثقل عليه مرضه، فتريث أُسامة وبقى فى مكان قُربَ المدينة يقال له (الجرف)، وتوفى رسول الله ﷺ وظهر المنافقون وارتد معظم العرب .

---

(١) انظر : تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص٦٩، والبداية والنهاية، جـ٦ ص٣٠١، وسيرة الرسول ﷺ لابن كثير، جـ٤ ص٤٩٣ .

(٢) انظر : صحيح البخارى بشرح فتح الباري، جـ٨ص١٥١-١٥٢، والبداية والنهاية، جـ٦ ص٣٠٤.

(٣) امرأة أسامة هى (فاطمة بنت قيس) . انظر : تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص٧٤ .

وكان الذى يظهر للناس جميعاً أو الذى يتبادر إلى أذهانهم أن أبا بكرٍ سيؤخر جيش أُسامة لشدةِ الحاجةِ إليه لمحاربة المرتدين فى داخل الجزيرة العربية وفى جميع جوانبها، ولما رأوه قد قَرَّر إنفاذَ ذلك الجيش راجعوه وطرحوا آراءَهم فى تأخيره. وممن كان يرى هذا الرأى عمرُ بنُ الخطَّاب ﷺ فامتنع من ذلك، وأصرَّ على بَعْثِ أُسامةَ وقال: والله لا أُحل عقدةً عقدها رسول الله ﷺ ولو أن الطيرَ تخطفُنا، والسباعَ من حول المدينة؛ ولو أن الكلاب جَرَّت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزن جيش أسامة؛ وأمر الحرس يكونون حول المدينة، فكان رأى أبى بكر وفعله ذلك خيرًا وبركةً ومصلحةً عظيمةً للمسلمين والإسلام.

إذا إن جيش أُسامة حينما خرج متجها خرج متجهاً إلى الشام كان يمر على القبائل فى طريقه فيقولُ كل من يراهم: «ما خرج هؤلاء من قومٍ إلا وبهم منعةٌ وشدة»[1]. فكان هذا العمل شاهدًا على عبقرية أبى بكر الإدارية والسياسية، وشدة تمسكه واتباعه لرسول الله ﷺ، وفى ذلك الخيرُ كلُّ الخير لو فعل مثلَه حكامُ المسلمين، لانتصروا ولوفقوا كذلك.

محاربة المرتدين ومانعى الزكاة ومدعى النبوة:

أشرنا فيما مضى أن كثيرين من العرب ارتدوا بعد وفاة رسول الله ﷺ، فمنهم من أنكر الإسلام جملة، ومنهم من زاد على ذلك أن ادعى النبوة، ومنهم من منع الزكاة، ومنهم من لم ينكر الزكاة ولكنه أبى أن يدفعها إلى أبى بكر، ولم يثبت على الإسلام غير أهل المدينة ومكة والطائف، حتى فى هذه المدن ظهر من المنافقين، ومن يريد الردة فوقى الله شرهم.

وكانت مشكلة الردة أعظم معضلة واجهها أبو بكر ﷺ، وأعظمُ عمل قام به فى خلافته هو حل هذه المشكلة، إذ لو كان هادنهم لما قامت للإسلام ولا للمسلمين قائمة؛ يقول أبو هريرة ﷺ: «والذى لا إله إلا هو، لولا أن أبا بكر استخلف ما عبد الله، ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة، فقيل له: مه يا أبا هريرة؟ فقال: إن رسول الله ﷺ

(١) انظر: البداية والنهاية، جـ٦ ص٣٠٤، وتاريخ الخلفاء للسيوطي، ص٧٤ والنص من البداية.

وَجَّهَ أُسامةَ بَن زيد فى سبعمائةٍ إلى الشام، فلما نزل بذى خُشُب [1] قبض النبى ﷺ وارتدت العرب حول المدينة، واجتمع إليه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا : رد هؤلاء، تُوجه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة؟ فقال : والذى لا إله إلا هو، لو جَرَّت الكلاب بأرجل أزواج النبى ﷺ ما رددت جيشاً وجَّهه رسول الله ﷺ ولا حللت لواء عقده؛ فوجه أسامة .

فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا : لولا أن لهؤلاء قوةً ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم . فلقوهم فهزموهم، وقتلوهم، ورجعوا سالمين، فثبتوا على الإسلام» [2] . أخرجه البيهقى وابنُ عساكر .

حقاً ما قاله أبو هريرة ﷺ ، فإن الصديق كان له الفضل بعد الله فى إرجاع العرب إلى دينهم وحفظ الملة الإسلامية من الزوال ، اتخذ قرار الحرب ضد كل من ارتدَّ كُلية أو أنكر بعض أركان الإسلام، وأشار عليه الصحابة ومنهم عمر بأن يتخذ موقفاً خاصاً بالنسبة لمانعى الزكاة بألا يقاتلهم، فرفض ذلك وسوى بينهم وبين من ارتد كلية فى المُقاتَلة .

قال ابن كثير : وقد روى الجماعة فى كتبهم سوى ابن ماجه عن أبى هريرة : « أن عمر بن الخطاب قال لأبى بكر : علام تقاتل الناس، وقد قال رسول الله ﷺ : «أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإذا قالوها عصموا منى دماءَهم، وأموالهم إلا بحقِّها ؟» فقال أبو بكر : الله لو منعونى عناقاً ـ وفى رواية : عقالا ـ كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنَّهم على منعها؛ إن الزكاة حقُ المال، والله لأقاتلن مَن فَّرق بين الصلاة والزكاة . قال عمر: فما هو إلا أن رأيتُ الله قد شرحَ صدرَ أبى بكرٍ للقتالِ فعرفتُ أنه الحق» [3] .

ولما رأى الصحابة إصراره وعزيمته وقوةَ حُجَّته اقتنعوا أن هذا هو الطريق

---

(١) خُشُب ـ بضم الخاء والشين : وادٍ قرب المدينة من شمالها . انظر : ترتيب القاموس، جـ٢ ص٥٧ .
(٢) انظر : تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ٧٣-٧٤ .
(٣) انظر : البداية والنهاية لابن كثير. جـ٦ ص٣١١ . انظر الحديث فى صحيح البخارى بشرح فتح الباري، جـ١٢ ص ٢٧٥ .

الصحيح، ووضعوا أنفَسهم بين يدى خليفة رسول الله ليأمر بما يري؛ فقرر دخول المعركة مع جميع المرتدين، ووزع الجيشَ الموجودَ إلى أحد عشر قسما، وسيَّرها كلَّها فى آنٍ واحد إلى جميع الجهات التى حصلت فيها ردة، فحصل النصر لجميعهم بعد صبرٍ وتضحياتٍ كثيرةٍ وأظهر الله أمره وأعزَّ دينه [1].

وخرج بنفسه لطرد المهاجمين لأبواب المدينة، وذلك أن بعضَ القبائل أرسلت وُفودَها إلى الصديق ليقبل منهم أن يؤدوا الصلاة ولا يؤدوا الزكاة فردهم، فرجعوا إلى قومهم وطمعوهم بالمدينة، وأن ليس فيها إلا قلةٌ من الناس لا يستطيعون حمايتها. وتوقع الصديق مهاجمتهم، وجمع مَن فى المدينة وحذَّرهم، وأمرهم أن يستعدوا، وجعل على أطراف المدينة حاميات حرس على رأس تلك الحاميات أبطال منهم على بن أبى طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله ... وجاءه الخبر منهم بأن الغارات بدأت، فخرج بنفسه يقود جيشاً صغيرًا فطاردهم وقتل من قتل منهم [2].

* وأما مدَّعو النبوة مثلُ مسيلمة الكذَّاب، وطليحة الأسدي، وسجاح، فإنهم هُزموا كلُّهم فمنهم من قتل ومنهم من فرَّ ثم تابَ ، إلا الأسود العنسى [3] فإنه قد كان ادعى النبوة فى أيام رسول الله ﷺ واستفحل شره وسيطر على جميع بلاد اليمن، وطرد عمال رسول الله ﷺ، فجاءت الكتبُ منه ﷺ لعماله ومن بقى من المسلمين يحثهم على التمسك بدينهم والاجتماع على قتال الأسود الكذاب، فاجتمعوا وقُضى عليه فى أيام النبى ﷺ قبل وفاته بقليل [4].

وأما مسيلمة، فقد وجه إليه الصديقُ سيفَ الله المسلول أبا سليمان خالد بن

(١) انظر فى هذا المرجع السابق، جـ٦ ص ٣١٦-٣١٩ . وتاريخ الخلفاء للسيوطي، ص٧٥-٧٦ .
(٢) انظر تفصيل ذلك فى البداية والنهاية، جـ٦ ص٣١٣-٣١٤، وتاريخ الخلفاء للسيوطي، ص٧٥-٧٤ .
(٣) الأسود العنسى اسمه : عبهلة بن كعب بن غوث، من بلد فى اليمن يقال لها : كهف حنان فى عنس، وكان كاهناً . انظر : البداية والنهاية لابن كثير، جـ٦ ص٣٠٧ بتصرف .
(٤) انظر : المرجع السابق، جـ٦ ص٣١٠ .

الوليد، ومعه من أبطال الصحابة العدد الكثير، فهزمه وقتله وأراح المسلمين من شره بفضل الله ونصره وتأييده [1].

وأما طليحة الأسدى [2]، فإن الصديق أرسل إليه خالد بن الوليد أيضا، فأرسل إليه خالد عكَّاشة بن محصن وثابتَ بنَ أرقم فقُتِلا، فتوجه خالد بجيشه وهزم الله طليحة وأتباعه وفر بزوجته إلى الشام، ثم أسلم وحَسُن إسلامُه وحجَّ فى أيام عمر، واشترك فى فتوح فارس، وكان له أعمالٌ عظيمة فى الحرب ضِد الكفار [3].

وأما سجاح التغلبية التى ادعت النبوةَ أيضاً ! وصدقها قومها، فإنها هزمت مع قومها وفرت، ثم أسلمت بعد ذلك [4].

وهكذا قضى الصديق على الردة ومظاهرها ﷺ وأرضاه.

ومن أعمال الصديق العظيمة : جمع القرآن :

فقد كانت حروب الردة ـ رغم النصر الذى حُقق ـ بَلاءً وفتنة ذهب فيها جمع كبير من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وفيهم قراء كثيرون، وأدرك عمر بن الخطاب ﷺ ـ بثاقب رأيه ـ الخطورة على ذهاب القرآن بذهاب القراء، فطرح الرأى على أبى بكر أن يجمع القرآن، وكانت مفاجأةً للصديق حين سمع من عمر ذلك، إذ كيف يطلب منه أن يفعل ما لم يفعلْه رسول الله ﷺ، وما زال يراجعه الفاروق حتى انشرح صدره لهذا الرأى.

وأراد الصديق أن يكلف من يقوم بالمهمة فرأى لها زيد بن ثابت الصحابى

---

(١) انظر : فتح الباري، جـ١٢ ص٢٧٦، والبداية والنهاية، جـ٦ ص ٣٢٣-٣٢٦.

(٢) طليحة الأسدى : هو طليحة بن خويلد بن نوفل الأسدى من بنى أسد، وكان من أشجع العرب، وكان يعد بألف فارس، قدم على النبى ﷺ سنة تسع هـ وأسلم، فلما رجع ارتد وادعى النبوة . انظر : تهذيب الأسماء واللغات، القسم الأول، جـ١ ص٢٥٤.

(٣) انظر : المرجع السابق الصفحة نفسها والتى تليها . وانظر : فتح البارى جـ١٢ ص٢٧٦، وتأريخ الخلفاء للسيوطي، ص٧٥، وأشار إلى قتال بنى أسد وهزيمتهم، ولم يذكر طليحة مع أنه كان قائدهم إلى الهزيمة.

(٤) انظر : فتح الباري، جـ١٢ ص ٢٧٦ . وكانت سجاح نصرانيةً من العرب الذين تنصروا فى الجاهلية، ولما جاء الإسلام لم تسلم هى ولا قومها . هذا قول ابن كثير، وفى فتح البارى : أنها أسلمت، والله أعلم أى ذلك كان.

الحافظ الجليل فطلبه، وأخبره بالأمر وطلب إليه أن يتحمل المسؤولية، فكانت المفأجاة عند زيد أعظم؛ إستعظم هذا الأمر، واستعظم التكليف، ولكن الصديق أقنعه، فانشرح صدر زيد، ولكن المهمة صعبة وخطيرة، فقبل وبدأ يجمع القرآن مما كان مدوناً فيه ومن صدور الرجال .

كما روى البخارى ـ رحمه الله ـ فى صحيحه ـ عن عبيد بن السّبَّاق [1] : « أن زيد ابن ثابت ﷺ قال : أرسل إلى أبو بكر الصديق ﷺ مقتلَ أهلِ اليمامة، فإذا عمرُ بنُ الخطاب عنده، قال أبو بكر ﷺ : إن عمر أتانى فقال : إن القتل قد استحر [2] يوم اليمامة بقراء القرآن، وإنى أخشى إن استحرَّ القتلُ بالقراءِ بالمواطن فيذهب كثيرٌ من القرآن، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن . قلت لعمر : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال : عمر : هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك، ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر .

قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه . فو الله لو كلفونى نقل جبل من الجبال، ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن . قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال : هو والله خير . فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فتتبعت القرآن أجمعه من العسب [3] واللخاف [4] وصدور الرجال ...» [5] .

ولقد كان فى جمع القرآن خير وبركة؛ إذ تحقق بذلك حفظ القرآن الذى وعد الله بحفظه بقوله :﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر] .

قال على بنُ أبى طالب ـ كرم الله وجهه : « أعظم الناس فى المصاحف أجرًا أبو

(١) عبيد بن السبَّاق، تابعى مدنى . انظر : فتح الباري، جـ٩ص١١ .
(٢)استحر : أى اشتد وكثر . المرجع السابق، ص١٢ .
(٣) العُسُب : جمع عسيب وهو عظم . انظر : ترتيب القاموس، جـ٣ ص٢٢٠ .
(٤) اللخاف : حجارة بيض رقيقة كان يكتب عليها . انظر : المرجع السابق، جـ٤ ص١٣٣ .
(٥) انظر : صحيح البخارى بشرح فتح الباري، جـ٩ ص١٠-١١ .

بكرٍ، رحمة الله على أبى بكر، هو أول من جمع كتاب الله»[1].

ورغم قصر مدة خلافة الصديق وشدة حرصه على اتباع رسول الله ﷺ فى كل شيء حتى فى إبقاء عماله الذين ولاهم فى حياته، إلا أنه قد كان له اجتهادات إدارية:

منها : ما تقدم فى النواحى الحربية .

ومنها : جمع القرآن .

ومنها : أنه عين عمر بن الخطاب ﷺ قاضياً مساعدًا فى المدينة، وعين أبا عبيدة مسئولا عن الشؤون المالية[2].

ومنها : أنه قسَّم الدولة إلى اثنتى عشر ولاية : اليمن ثمان، وهى : صنعاء، وحضرموت، وخولان، وزبيد، ورمع، والجند، ونجران، وجرش . والحجاز ثلاث ولايات : مكة، والمدينة، والطائف . والبحرين وما إليها ولاية[3].

وتعيين راتب جديد للخليفة؛ ليتفرغ لرعاية المسلمين والعمل لهم .

وختم حياته بحسنة من أفضل حسناته وهى استخلافه عمر[4] ، وصدقت فراسته فى عمر، فقد كان عند ظنه به، فلم تعرف الأمة حاكماً أعدل منه بعد رسول الله وخليفته الأول .

---

(١) انظره فى فتح الباري، جـ٩ ص١٢ . قال عنه ابن حجر : إسناده حسن .

(٢) انظر : الحكم والإدارة فى الإسلام للدكتور أكرم رسلان ديرانية، ص ٨٥ .

(٣) انظر : نظم الحكم والإدارة فى الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية للمستشار على منصور، ط . بيروت، ط ٢/ ١٣٩١هـ .

(٤) انظر : تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص٨١-٨٣ .

المبحث السادس
فى تطور الإدارة العامة فى عهد الفاروق

بتأسيس الدولة الإسلامية فى المدينة المنورة على يد رسول الله ﷺ حيث اكتملت أركانها بتوفر الإقليم، ووجود الشعب من المهاجرين والأنصار ﷺ أجمعين ـ وممن قبل حكم الرسول ﷺ ـ ممن كانوا فى المدينة من غير المسلمين، وأهمهم اليهود بقبائلهم الثلاث (قينقاع والنضير وقريظة)، ووجود السلطة بأنواعها : تشريعية وقضائية وتنفيذية، متمثلة فى شخص رسول الله ﷺ القائد والمؤسس الأول لدولة الإسلام . بتأسيس تلك الدولة الفتية بدأت تمارس فيها الإدارة على أحسن ما يمكن أن تكون عليه فى عصرها .

كانت مهمةُ رسولِ الله ﷺ الأساسية هى تبليغ ما أُنزل إليه من ربه كما قال تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [المائدة :٦٧].

ولكنه مع ذلك كان مُكلَّفًا بالحكم بين الناس فيما شجر بينهم، كما قال تعالى : ﴿ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء :٥٩].

وقال تعالى :﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء :٦٥] .

فكان يقضى بين الناس ويفتيهم، وينظم شؤونَ الدولة كلها . وكان يوجد فى عهدِه هيكلٌ تنظيمى للوظائفِ المختلفة [1] .

---

(١) انظر : التراتيب الإدارية فى الحكومة النبوية لعبد الحى الكتانى المغربي، طبع دار إحياء التراث العربي، جـ١ ص ١٧ وما بعدها .

ولَحِقَ رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى، وتولى الخلافةَ أبو بكر الصديق ﷺ، وبَدأت تَبرزُ مُشكلات سياسية، وإدارية لم يُشغل عنها بما واجهَه من جروب المرتدين واهتمامه بالقضاء على مظاهر تلك الردة الخطيرة، بل أنفذ جيش أسامة، وبدأ بتنظيم الجيش لمحاربة المرتدين، وقضى على كل مظهرٍ للردة ووجه الجيوش إلى العراق والشام .

ولم يطُل به العمر حتى يرى نتائجَ إرساله الجيوش لفتح بلاد الله ونشر النور فيها التى صاحبتها مشكلات سياسية وإدارية، كانت من نصيب الفاروق بعده .

وتُوفى ﷺ وقد قام بالأمر خير قيام، ورأب الصدع الذى حصل بعد وفاةِ رسول الله ﷺ وثَّبت دعائم الدولة، ووطَّد الأمن فى أرجائها .

وجاء بعده الفاروق فكان على مستوى المسؤولية التى أُلقيت عليه .

فقد استلم دولةً يحيط بها الأعداءُ من كلُّ جانب، وأخطر أولئك الأعداء تلك الدولتان العظيمتان : فارس والروم، اللتان كانتا فى حينهما كأمريكا وروسيا اليوم تتنازعان سيادة الدنيا وتتقاسمان خيراتها .

وكان الصديق ﷺ قد بدأ بمهاجمتهما، بل قد كان ابتداءُ ذلك بغزوة تبوك التى قادها رسول الله ﷺ بنفسه، بعد وقعة (مؤتة) التى وقعت فى عهده قبل تبوك [1] .

وبدأ أول ما بدأ به الفاروق ﷺ بانتداب الناس للذهاب إلى العراق، لِمواصلةِ القتال، ومواجهة الدولة الفارسية التى تمثل الخطر الأكبر من الشرق والشمال الشرقى للدولة الإسلامية .

فأرسل من ندبوا أنفسهم للذهاب إلى العراق، وأمرَّ عليهم أولهم انتداباً (أبا

---

(١) انظر : السيرة النبوية لابن كثير، جـ٣ ص٤٥٥، ط . دار المعرفة، بيروت، تحقيق مصطفى عبد الواحد ـ هذا بالنسبة لموقعة مؤتة التى كانت فى السنة الثامنة للهجرة، وانظر : نفس المرجع، جـ٤ ص٣ بالنسبة لغزوة تبوك التى كانت فى السنة التاسعة للهجرة .

عبيد الثقفي [1].

وفى الجيش تحت إمرته من هو أفضل منه [2].

واستمر القتال فى العراق، وانتصر المسلمون فى الحرب التى خاضوها واتسعت الفتوح فى عهد عمر ﷺ شرقاً وشمالاً وغرباً؛ ولسنا بصدد التفصيل لكيفية سير الفتح فى كل تلك الجهات، لأن ذلك ليس موضوعَنا.

وما هذا التمهيد إلا عن التطور الإدارى فى عهد الفاروق، فقد اتسعت أرجاءُ الدولة الإسلامية فى عهده، واختلط العنصر العربى بالعنصر الأعجمي، وتدفقت الأموال من الغنائم وغيرها، فظهرت نتيجةً لذلك مشكلاتٌ كثيرةٌ.

فالولايات الكبرى، خاصةً التى هى خارج الجزيرة العربية، ازدادت فيها أعباء الوالى فهل تبقى كل الأعباء عليه كما كانت سابقاً أو يفصل عنه بعضها ويسنده إلى موظف غيره؟

وسرعةُ انتشار الفتوح، هل تستمر أو تتوقف ريثما يتم إصلاح ما تم من فتوح؟

والأموال الكثيرة المتدفقة، هل توزع على الغانمين وتُقسَّم كما كان الحال من قبل أو ينظر لها طريقة أخرى تضمن عدم تكديس الأموال بأيدٍ معينةٍ، وتضمن بقاءَ مواردَ ثابتة تدر على بيت المال ما يغذيها لتسدَّ حاجة الجند فى المستقبل وما يحتاجونه مِنْ عُدة السلاح؟ كل هذه المشكلات وغيرها واجهها الفاروق بعبقريته الفذة وإدارته الناجحة وسياسته الحكيمة.

وظهرت عبقريته فى هذه الميادين وفى غيرها، وصدق فيه قول رسول الله ﷺ: «فلم أرَ عبقرياً يفْرى فَرْيه» [3]. لقد وضع أنجع الحلول لكل مشكلة، فقسَّم الدولة

---

(١) أبو عبيد الثقفى هو: أبو عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي، لم أجد اسمه. وهو صحابى جليل. انظر: الإصابة لابن حجر، جـ٤ ص١٣٠، ط. بيروت.

(٢) انظر: تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبرى ت ٣١٠هـ، جـ٤ ص٦١-٦٣.

(٣) جزء من حديث صحيح. انظره فى صحيح البخارى بشرح فتح الباري، جـ٧ ص٤١، ط. المكتبة السلفية.

إلى ولايات، وأنشأ الجديد منها، وجعل على كل ولايةٍ والياً يكون نائباً عنه، وأسَّسَ المدنَ الكبيرةَ فى بعض الجهات على شكل معسكراتٍ كالكوفةِ والبصرةِ فى العراقِ، لأن ذلك التقسيم والتنظيمَ يضمنُ حسنَ الإدارة لهذه الدولة المتسعة، وخاصة أنه كان يختار الولاةَ والقضاةِ والجُباة من الرِّجال الأكفاء وما كان يعدل عن الصحابة[1].

أما اختلاط العنصر العربى بالعنصر العجمي، فإن هذا الأمر فى ظاهره لا يبدو أنه مشكلة، إذ المعروف أن الإسلام يُظل كلَّ من يدخل فيه، ولا يختلف فيه معاملة العجمى عن العربى فى جميع شؤون الحياة . والحقيقة أنَّ المشكلة ليست فى إسلام هؤلاء الأعاجم ولكنهَّا تكمن فى بعض الأمورِ الهامة منها اللغة، إذ لغتهم غير لغة القرآن . ولا شك أن اختلاط أجناسٍ مختلفةٍ، يتكلمون لغاتٍ مختلفةٍ ومتعددةً، يؤدى إلى اختلاط اللغات باختلاط أصحابها، وهذا الذى حصل فيما بعد، فقد فسد اللسان العربي، ودخلت عادات على العرب ما كانوا يعرفونها من قبل .

ومنه أن إسلام بعض الأعاجم لم يكن حُباً فى الإسلام، وإنما أسلم خوفاً على نفسه وهو يُضمر الكيدَ للإسلام والمسلمين كإسلام الهُرمزان[2] مثلاً .

ولذلك فقد كان رأى عمرَ فى هذه المشكلة أن الحلَّ لها أو التخفيف من خطرها أن تنشأ مُدن عربية[3] يقطنها الجيشُ الفاتحُ ويحافظُ على لُغتهِ وأخلاقه، وهى أخلاق عربية إسلامية؛ من تقشف، وزهد، واستعداد للبذل والفداء فى سبيل نصرة دين الله، وهى الصفات التى بسببها تمكنوا بفضل الله ونصره من اكتساح الجيوش التى واجهوها على رغم كثرة عددها وعدتها .

---

(١) انظر : الأحكام السلطانية للما وردى على بن محمد بن حبيب ت ٤٥٠هـ، ص ١٧٩ ط المطبعة الحلبية، مصر وانظر : العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون، جـ٤ ص ٩٥٩، وعمر بن الخطاب وأصول السياسة والإدارة الحديثة لسليمان الطماوي، ص ٣١٣-٣١٥ .

(٢) الهُرمزان ـ بضم الهاء والميم ـ أسره أبو موسى الأشعرى ﷺ ، وأرسله إلى عمر فأسلم . انظر : تهذيب الأسماء واللغات للنووي، جـ٢ من القسم الأول ص ١٣٥ .

(٣) انظر : تأريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري، جـ٤ ص١٤٩ كتاب عمر لعتبة بن غزوان بشأن تخطيط وإنشاء البصرة . وانظر : نفس المرجع، جـ٤ ص١٨٨ بالنسبة لتخطيط وإنشاء الكوفة .

وأما تدفق الأموال الكثيرة من الغنائم وغيرها، فقد كان أيضاً أمرًا جديدًا، يتطلب حسن تدبيرٍ لتصريفه بالطريقة المثلى التى تكفل حفظه، وحسنَ قسمته فقد فتح الله على يديه كنوزَ كسرى وقيصر، وتدفقت الأموال من جميع الولايات على العاصمة المدينة، فرأى عمر ﷺ إنشاء بيت خاص للمال الوارد، واختص هو بمسئولية القيام عليه وتصريفه فى وجوهه ودوَّن الدواوين لذلك، وأمر بإنشاء دواوين فى عواصم الولايات، وفرض الأُعطيات الراتبة، وشمل العطاء كلَّ فرد فى الدولة ابتداء بقرابة رسول الله ﷺ وأزواجه، وانتهاء بكل مسلم؛ وفرض لكل مولود ولد فى الإسلام عطاء وجعل ذلك كله فى ديوان (سجل) منظم [1].

ثم مسألة الأرض المفتوحة، التى كان الحُكمُ فيها على عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر ﷺ أنها تقسم على الغانمين، فإن عمرَ ﷺ رأى بثاقب رأيه أنه لابد من الاجتهاد فى هذه المسألة للمسلمين، والنظر فيما هو الأصلح لهم ولمن بعدهم، وشاور فى ذلك كُبار الصحابة، واستقر الرأى على تقسيمها، وتركها بيد أصحابها الأصليين، ووضع الخراج عليها بعد مسحها؛ ليكون ذلك مورداً مالياً مستمرًا لبيت مال المسلمين [2].

ولاشك أنَّ هذه السياسةَ حكيمةٌ وأن ذلك أصلحُ للمسلمين وأكثرُ نفعاً.

إذْ إنَّ الموارِدَ الأخرى التى تدفقت منها الأموال وأهمها الغنائم والفيء والجزية ليست مواردَ ثابتةً، فإن البشرية إذا اهتدت ـ وهذا ما يريده المسلمون ـ والفتوح توفقت لذلك، فإن هذه الموارد ستقف معها.

والدولة تحتاج إلى أموال طائلة بقدر اتساعها وحاجة الجيوش التى تحميها.

أما الولاة على الولايات الكبيرة، فإنَّ عُمر رأى أنهم لا يستطيعون القيام بكل

---

(١) انظر فى ذلك كله: الأموال لأبى عبيد القاسم بن سلام ت٢٢٤هـ ص ٢٨٦-٢٩٩-٣٠٩، والأحكام السلطانية للماوردي، ص١٩٩، والعبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون، جـ٤ ص٩٣٠ وما بعدها.

(٢) انظر: الأحكام السلطانية للماوردي، ص١٤٧-١٥٣، والكامل لابن الأثير أبى الحسن على بن محمد بن محمد ت ٦٣٠هـ جـ٢ ص٣٦٤، ط٢. بيروت، وعمر بن الخطاب وأصول السياسة والإدارة الحديثة، ص ١٧٥-١٧٦.

الأعباء التى تتطلبها تلك الولايات، ففصل القضاء عن الولاية، وعين القضاة على تلك الولايات، وكان يمدهم بتوجيهاته، ويفتح لهم بابَ مشورته فى القضايا التى يصعب البت فيها، وعين لهم الأرزاق، وأغدق عليهم بها لإغنائهم وتحصينهم من الرَّشا والهدَايا [1].

ولما رأى الفاروقُ سُرعةَ انتشار الفتح الإسلامى ورغبة الجيوش الإسلامية فى مواصلةِ الجهاد والاستمرارِ فى الفتح لم يوافقهم على ذلك حتى يتّم إصلاحُ ما فُتِح، وتتم تقوية الجيش، بل إن بعض المؤرخين يذكر أن عمر كان يرى التواقف عن الفتح كلية، وتمنى ؟أن يكون بينه وبين ما تبقى من الشرق سد [2].

وما أظن أنَّ هذا الموقف يكونُ من عُمرَ إلا خوفاً ورحمة بالجيوش الإسلامية؛ إذ أنهم ما خاضوا معركة إلا وقدَّموا فيها من الأنفس الطاهرة العددَ الكبير، ولم تكن هذه النفوس رخيصة ولا هينة عند عمر، وخاصة أن منهم من الصحابة الكثير؛ ولكنه بعد أن تأكد من قوتهم عزيمةً وعدداً وعدةً سمح لهم بالمواصلة والانسياح فيما تبقى من بلاد فارس [3] !

وهكذا رأينا أنه حدث تطور فى الإدارة الإسلامية والتنظيم الإدارى على عهد الفاروق فى مختلف المجالات .

وهذا التمهيد ليس للإحصاء وللاستقصاء لكل إصلاحات الفاروق الإدارية، ولا الابتكارية فى هذا الميدان . ولكنها لمحة سريعةٌ ترينا بعضاً من قدرة ذلك العبقرى الذى نحن بصدد الكتابة عن أولياته فى الإدارة والقضاء، وأن تلك العبقرية الفذة جديرة بأن يكون لها أوليات مبتكرة فى ميادين كثيرة منها الإدارة والتنظيم الإدارى .

---

(١) انظر : المغنى لابن قدامة، جـ٩ ص٣٧-٣٨، ط . مكتبة القاهرة . وانظر : تاريخ القضاء فى الإسلام د / أحمد عبد المنعم البهي، ط . لجنة البيان العربي، القاهرة ١٩٧٠م، ص ١٠٦ وما بعدها .

(٢) انظر : الكامل لابن الأثير، جـ٢ ص٣٦٣ .

(٣) انظر : تاريخ الأمم والملوك للطبري، جـ٤ ص٢٢١ وجـ٥ ص٧ .